أنانيـــــة مجرب

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب رقيق العاطفة ، جياش الحس ، يلذ له أن يقف منك موقف الناصح ، ولكنه إذا فعل سار على نهج لا تكاد فيه حتى لا تملك تلقاء حديثه إلا أن تعيره الأذن الواعية والروح المقبلة . وأنت حبيب إلى نفسه ، مقرب إليها ، إذا قبلت منه نصحه . وأنت أكثر حباً إلى نفسه وأكثر قرباً منها إذا ظهرت أمامه خالياً من التجاريب مقبلا على دنياك إقبال الطفل . إنه إذ ذاك يفرح أن جرب هو ولم يجرب من هو أكبر منه ، وأن يقف هو إلى هذا الأكبر موقف الناصح المرشد الذى خير من الماضى ما يكشف به عن القابل .

لعلى بهذا الوصف أكون قد ألقيت الضوء على عيبه الواحد . فإنك لتراه بعد هذا شفيف الروح ، مهذب اللفظ ، مرح الدعابة واسع الاطلاع ، دقيق اللفتة . أما عيبه الذى ذكرت فأمره على يسير . إن صلتى به توثقت حتى لا يزيدها غش أو توهنها مصارحة ؛ فتراني إذا نصح ناقشته مقبلا على النقاش فى غير ضيق فقد صرن منى على هذا الأمر حتى أصبح بعد لكل نصيحة نقاشاً ، ولكل حكمة اكتسبها من نثار تجاربه حججاً وبراهين وأمثالا . وأنا مع ذلك حبيب إلى نفسه مقرب إليها لا يمل نقاشى ولا أمل نصائحه .

أقبل يوماً على مجلسنا تعلو وجهه سمات الجد والرزانة فعرفت أن حالة النصيحة قد أدركته وأنه يريدنى على أن أسمع بعضاً منها ؛ وكم أكون كريماً لديه لو سمعتها جميعها .. عرفت هذا فانتحيت به ناحية وقلت :

— مالك ؟

— إسمع ، لقد أثبتت تجاربى أن كل الناس أشرار .. وأنه يجب على الإنسان أن يقبل على أصدقائه شاكا فى ولائهم ، حذراً من شرهم ، فليس فى الناس صديق ، وليس فيهم إلا الخؤون ، وإنك إذا توقعت منهم الخير ثم فجئتك الشر دكت الواقعة من كيانك مهما تفهت ، أما إذا توقعت الشر ثم طالعك الخير فإن ذلك يفرحك ، ولكن حذار مع هذا أن تأمن الجانب وتطمئن فقد يعهد الخير للشر كما يعهد الدفء للحريق .. إبق على شكك وحذرك فالكل شرير .

ولا جليس معك إلا الكاتب أو رسالته ، ولا شاغل لديك إلا البحث والدرس واستقصاء والتحقيق ، فحرمت نفسك الزوج والولد بعد أن حرمت والديك لذة الحرص على صحتك والعناية بشأنك والفوز بقوتك ، وكأنك أردت لنفسك طريقاً خاصاً فى أسلوب حياتك ، ونسجت لذاتك منوالا فذاق جوانب تفكيرك ، فكنت كما عرفك الناس ، فريداً فى أسلوب أدبك ، وحيداً فى تصوير خطك ، ذليقاً — فى عفة — فى لسانك ، ثائراً فى انفعالات عواطفك وأعصابك ، متوقداً فى ذهنك وتفكيرك ، بسيطاً فى ملبسك ، منطوياً على نفسك البريئة ، وروحك العذبة وقلبك الذى ما خفق إلا بالحب والوفاء . هكذا نشأت ، وهكذا ترعرعت ، وفى سبيل هدفك صرفت وضحيت .

وبيتك كعبة الحجاج من أهل الفضل والفضيلة ، ومجلسك قبلة الأنظار من أهل العلم والمعرفة ، وأنت .. أنت الروح فى كل مجلس ، وأنت الحجة فى كل حديث ، وأنت المتمكن من كل قول ، وأنت الرقة فى كل سمر ، وأنت الراعى لكل تراث .!

أين أنت ؟ وأين خلفت عرينك وعريتك ؟ ولمن تركت « رسائلك » و « نقلك » ؟ ومن أولى منك « يا إمام العربية » بتراث العربية ؟ وأنت خادمها ، وأنت عبدها ، وأنت لها ، وأنت المدافع فى كل حين عنها ، وأنت القائل منذ أربعين عاماً أو يزيد :

فإنى بأرض الشرق أخدم أمتى وأرجو لها فى كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى ولا أسأل القوم العظام لى الأجرا

يا أبا عبيدة ! إنى عليك لمحزون ، ولفقدك لمحزون ، وإن حرمتنى الأيام منك فى حياتك — وأنا فى مهد الصبا ، ومقعد الدراسة — ثم حرمتنى منك بعد أن حرمك الموت من نعمة الحياة ، فإن ذكراك ستبقى حية عندى ما حييت ، وستبقى خالدة على مدى الأيام ما بقيت العربية . !

يا خال ...

عليك رحمة الله .. وإلى اللقاء ..!

ناصر الدين النشاشيبى

— حسبك .. حسبك فإنى أرى النوبة قد عادتك ، ولكنك فى هذه المرة على غير مألوفك من الأدب ؛ فما أنت ذا ترمينى فى وجهى بالشر وسوء الطوية .. ألست واحداً من أصدقائك الأشرار؟ بل إنك لتزيد فتريدنى أن أظن بك السوء بلا موجب أراه أنا ! ولكن أتريدنى حقاً أن أصدقك ؟ أجاداً أنت فيما تقول ! أمشى مع الناس فلا أرى فيهم الشر ولا يخالجنى غير الحذر والخوف ! أى تجارب تلك التى أوحت إليك بهذه الشرور ؟ أو تكون مجرباً حقاً إذا فعلت هذا ؟ ما أسهل هذا الأمر وما أصعبه ! إن المجرب يا صديقى — فى رأيى — هو الذى يعرف مقادير الناس ويزن كلاً بميزان .. يمدحه أحدهم فيصل إلى باعث هذا المديح .. فمن الناس من يبذل المدح ثمناً لخدمة له عندك . ومنهم من يبذله ثمناً لمديح مثله . ومن الناس من يمدح رغبة منه فى المجاملة ، ومنهم الصادق فى مدحه ، وهذا هو النوع الأمين النادر ، انك لواجده صادقاً فى نقده أيضاً إذا نقد .. المجرب هو الذى يفرق بين كل هذه الأنواع ، والمجرب هو الذى يعطى لكل من هؤلاء مكانه الحقيق به من نفسه . أما إذا سويت بينهم جميعاً ورميتهم كلهم بالشر . فأنت غر لا تعرف الناس ، ولم تجربك الأيام ولا جربتها. يعز عليك أن تقتنع .. أعلم ذلك ، ولكن ربك ما الذى بث فى نفسك كل هذه الثورة ؟ هل من جديد ؟

— الجديد هو معرفتى أننى الغيرى الوحيد بين هؤلاء الناس . أنت تعرف صديقنا فلانا ، كنت أؤثره وأحبه ، توطدت بيننا الصداقة فأصفيته ودى ، لكنه عرف أننى مقدم على مشروع تجارى فسبقنى إليه ، واستعان بسلطان كبير أطاح من يدى الفرصة إلى يده .. أرأيت أنانية كتلك الأنانية ؟!

— نعم .. رأيت أكثر منها .

— أين ؟

— أنانيتك أنت .. إنك — والحمد لله — لا تعرف عن التجارة شيئاً وهى مهنته . وأنت — والحمد لله — فى بسطة من رزقك وبحبوحة من عيشك ، وهو يسعى وراء رزقه ، ويشق فى سبيله ، لماذا تعترض طريقه ؟

— ولكننى صديقه ، كان يجب أن يستأذننى .

— أو كنت تأذن ! . يا صاحبى إننى أنا وأنت وكل إنسان فى العالم أنانى بطبعه ، إنك لترى الأنانية فى كل خطرة ينشغل بها ذهنك ، وفى كل خلجة يختلج بها قلبك .. إن الخير فى ذاته نوع من الأنانية . إنك إذ تقوم بذلك الخير ترجو شيئاً من شيئين : إما ذكراً طيباً فى الدنيا ، أو مثوبة كريمة فى الآخرة . وأنت على الحالين أنانى . قد يسمو بك شعورك فتفعل الخير ترضى به نزعة فى نفسك ، وأنت فى هذه الحال أيضاً تنظر إلى نفسك فتريحها بعمل الخير .. لن تقتنع .. أعلم ذلك ولكنه الحق . وتريد صاحبك على أن يترك قوله لك حتى لا ترميه بالأنانية .. إنه أنانى ولكن دعه يأكل ، والله ما الأنانى إلا أنت .

— ألا تشعر بأنك تمزح .. أتسوى بين التناحر وعمل الخير .. أإن منعنى صديق من كسب موشك كان فى عمله مثل من يقوم بالمعروف . وتدّعى بعد هذا أنك تعرف المجرب وغير المجرب ، وتتيح لنفسك أن تلقى هذه المحاضرة الطويلة عن التجربة

— قلت إنك لن تقتنع .. ولكن يجب أن أصحح ما قام بذهنك .. لا .. أنا لا أسوى بين العملين ، لكننى أرى فى كل منهما أنانية وإن تفاوتت نسبتها .. إن فى كل منهما صورة من الأنانية تختلف قبحاً وجمالاً .. ألا ترى ..

لم يطمئن صديقى أن يصبر أكثر من ذلك ولم تسعفه الحجة فقام عنى مغضباً دون أن يسلم ، ويعلم الله أين مكانى من نفسه الآن .. ولكننى ما زلت أعتقد أننى حبيب إليها قريب منها .

زيوت أباظة

عالم الذرة

أو

الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نور الهدى

كتاب صدر فى وقته ، يشرح لك ما لا بد أن تعرفه عن الذرة ونواتها وقلقها وطاقتها وأثرها فى مستقبل العلم ، وعن القنبلة الذرية وتجاربها وانفجارها وأثرها فى مستقبل الإنسان .

يطلب من دار الرسالة . ومن المؤلف بشارع البورصة الجديدة رقم ٢ ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٠ قرشاً بخلاف أجرة البريد .